مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

العدد الخاص – آب – Augustus / 2025

صورة السّلطان الغني بالله محمد الخامس عند شعراء الأندلس في القرن الثّامن الهجري (إبراهيم بن الحاج النميري و ابن زمرك الأندلسي أنموذجاً)

م.د. ليلى نجاة جهاد أحمد[1]
[1]جامعة كركوك/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم اللغة العربية / العراق

Layla.najat@uokirkuk.edu.iq[1]

الملخص. يهدف هذا البحث إلى التّعرف على صورة السّلطان الأندلسي أبو عبدالله محمد الخامس الملقب بالغني بالله كما صورها الشّاعر الأندلسي في القرن الثّامن الهجري، ووقع الاختيار على الشّاعرين إبراهيم بن الحاج النميري و ابن زمرك الأندلسي؛ لأنّهما من الشّعراء الذين تناولوا هذا السّلطان في أشعارهم. ومن أجل الوصول إلى تحقيق هذا الهدف قد تم طرح تساؤلات كثيرة منها: ما الذي لفت انتباه الشّاعر الأندلسي في القرن الثّامن الهجري لكي يتطرق إلى وصف هذا السّلطان في شعره؟ وما الأمور التي سلط الضّوء عليها؟ وهل كان وراء ذلك الاهتمام مشاعر صادقة أم مصالح مادية؟ وما اللغة والأدوات التي استخدمها الشّاعر في شعره لكي ينقل لنا صورة هذا السّلطان؟ وهل نجح في ذلك أم أخفق؟ وقُسم البحث إلى تمهيد تناول نبذة عن حياة الشّاعرين وعلاقتهما بالسّلطان الغني بالله، أما محاور هذا البحث فقد كانت موزعة على موضوعات صورة الغني بالله عند الشّاعرين والتي منها: صورة الغني بالله السّلطان، وصورة الغني بالله القائد الشّجاع المقدام، والكريم السّمح،والحليم والحكيم، والجميل ذات الحسب والنّسب، فضلاً عن النّتائج.

الكلمات المفتاحية: السّلطان الغني بالله– إبراهيم بن الحاج النميري– ابن زمرك الأندلسي– شعر.

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

Abstract. This research aims to identify the image of the Andalusian Sultan Abu Abdullah Muhammad V, nicknamed "Al-Ghani Billah," as depicted by the Andalusian poet of the eighth century AH. The poets Ibrahim bin Al-Hajj Al-Numairi and Ibn Zamrak Al-Andalusi were chosen because they are among the poets who addressed this sultan in their poetry. In order to achieve this goal, many questions were raised, including: What caught the attention of the Andalusian poet in the eighth century AH to describe this sultan in his poetry? What issues did he shed light on? Were there sincere feelings or material interests behind this interest? What language and tools did the poet use in his poetry to convey the image of this sultan? Did he succeed or fail? The research was divided into an introduction that dealt with a brief biography of the two poets and their relationship with Sultan Al-Ghani Billah. The axes of this research were distributed among the topics of the image of Al-Ghani Billah in the poets, including: the image of Al-Ghani Billah the Sultan, and the image of Al-Ghani Billah the brave and courageous leader.Image of the rich in GodThe generous and tolerant,Image of the rich in GodThe beautifulThe image of the rich in GodOf noble lineage and lineage, as well as results.

Keywords: Sultan Al-Ghani Billah - Ibrahim bin Al-Hajj Al-Numairi - Ibn Zamrak Al-Andalusi - Poetry..

المقدمة

يُعد السّلطان الغني بالله محمد الخامس من السّلاطين الذّين حكموا الأندلس فترتين من (755هـ – 760هـ) ومن (763هـ – 793هـ) (بن الأحمر، 1987م، صفحة 25)، وهو أبو عبدالله محمد الغني بالله بن يوسف بن إسماعيل بن فرج من بني نصر المنحدرة من قبيلة الخزرج القحطانية، فقد ولي الحكم بعد وفاة والده الحاكم السّابع لغرناطة سنة (755هـ) ليصبح من بعده ثامن ملوك دولة بني الأحمر في الأندلس، فقد كان له أخ اسمه إسماعيل استمال إليه جماعة من أهل غرناطة فنادوا بدعوته فخلعوا الغني بالله مما اضطر مغادرة غرناطة متخذاً تونس وجهة له وذلك سنة (760هـ)، فقام عند سلطانها أبي سالم المريني مدة من الزمن ولكن لم تدم تلك المحنة كثيراً، فقد استجمع قواه واستطاع الرجوع ودخول غرناطة مرة أخرى سنة (763هـ) واثبت قدمه فيها إلى أن توفي عام (793هـ)، لقد اتسعت الدّولة في أيامه حتى أصبح له ملك المغرب كلّه. كان الغني بالله حازماً بطلاً شجاعاً حمى الأندلس

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

ووقف بوجه اعدائها ونصر الإسلام والمسلمين (الخطيب، 1974م، صفحة 225)، واتسمت فترة حكمه بالهدوء والأمن وقلة الحوادث (الخطيب، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، 1347هـ)، نال اعجاب الكُتاب والشّعراء فتقربوا منه لينالوا رضاه، فأغدق عليهم الأموال والعطايا، فمنهم من تقلد الوظائف الديوانية منهم الشّاعر إبراهيم بن الحاج النميري، الذّي أصبح كاتب إنشاء في دولته وكذلك الشّاعر ابن زمرك الذي أصبح كاتب سره ثم وزيراً في دولته، كان الغني بالله يمتلك صفات كثيرة وهذه الصّفات جعل الشّعراء يتغنون به لدوافع مادية وشخصية كما سنُلاحظ ذلك.

التمهيد

إبراهيم بن الحاج النميري (713هـ– 780هـ) وعلاقته بالسّلطان الغني بالله:

يُعد الشاعر إبراهيم بن الحاج النميري من شعراء الأندلس المغمورين في عصر بني الأحمر، اسمه أبو اسحاق إبراهيم بن عبدالله بن قاسم النميري والمعروف كذلك بابن الحاج الغرناطي، والملقب ببرهان الدين (الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، 1974م، صفحة 342).

كان فقيهاً وعالماً ورحالاً ومن كبار الكُتاب في الأندلس، ولد في غرناطة و نشأ بأسرة لها باع في مجال العلم والسّياسة، وقد ترك لنا آثار كثيرة في الأدب والبلاغة (التلمساني، 1988م، صفحة 108)، وما وصلنا من شعره دليل على شاعريته على الرغم من فقدان القدر الأكبر منه، فقد عاصر الشّاعر السّلطان الغني بالله، وكان موالياً له، وما تبقى من شعره يُظهر لنا ذلك، حتى يمكن أن نعد شعره وثيقة تاريخية تحفظ لنا شخصية هذا السّلطان وقوة جيشه، وتصور لنا المعارك التي خاضها والانتصارات التي حققها من أجل إبقاء راية الإسلام تُرفرفُ فوق سماء الأندلس.

ابن زمرك الأندلسي (733هـ–793هـ) وعلاقته بالسّلطان الغني بالله:

هو محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد الصّريحي، يُكنى بأبي عبدالله (التلمساني ش.، 1940، صفحة 7 ج2)، من أبرز شعراء الأندلس في القرن الثّامن الهجري، كان أديباً عالماً فقيهاً كاتباً، نشأ محباً للعلم، طالباً له، مرتحلاً من بلد لآخر إلى أن تولى الكتابة لأحد أبناء السّلطان المريني أبي سالم إبراهيم (الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، 1974م، صفحة 301 ج2)، ثم ترقى وأصبح كاتباً للسلطان نفسه، وانتقل بعد ذلك إلى الأندلس بعد تولي السّلطان الغني بالله السّلطة وكُلف ابن الخطيب بالوزارة حتى دعاه ليكون في الكتابة السّلطانية بعدها، وعندما تعرض السّلطان الغني بالله إلى محنته مما اضطر إلى ملازمته و السّفر معه إلى المغرب فاستقر هناك، وبعد رجوع السّلطان إلى غرناطة مرة

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

أخرى أصبح ابن زمرك مقرباً إليه أكثر ونال رضاه وقربه إليه مما جعله كاتب سره، ثم جعله وزيراً في دولته عوضاً عن لسان الدين بن الخطيب الذي فسدت علاقتهما بعد المحنة التي تعرض لها الغني بالله، واستطاع ابن زمرك بذكائه أن يكون من المؤثرين على السّلطان الغني بالله ويتدخل حتى في قرارته السّياسية إلى أن أصبح يعتمد عليه ويأخذ بمشورته قبل اتخاذ تلك القرارات، فأصبح المتصرف برسالته وحجابته (الزركلي، 2002، صفحة 154 ج7).

صورة السّلطان الغني بالله عند شعراء القرن الثّامن الهجري:

تردد ذكر اسم السّلطان الغني بالله في دواوين شعراء الأندلس عصر بني الأحمر، وكان وراء ذلك سبباً يتعلق بشخصية هذا السّلطان الذي أشار إليه لسان الدين بن الخطيب في قوله: "هذا السّلطان أيمن أهل بيته نقيبة، وأسعدهم ميلاداً وولاية، قد جمع الله له بين حسن الصورة، واستقامة البنية، واعتدال الخلق، وصحة الفكر، وثقوب الذهن، ونفوذ الإدراك. ولطافة المسايل، وحسن التأني؛ وجمع له من الظرف مالم يجمع لغيره، إلى الحلم، والأناة اللذين يُحِبُّهُما الله، وسلامة الصدر، التي هي علامة من الإيمان، ورقة الحاشية، وسرعة العبرة، والتبريز في ميدان الطهارة والعفة، إلى ضخامة التنجد، واستجادة الآلات، والكلف بالجهاد، وثبات القدم، وقوة الجأش ومشهور البسالة، وإيثار الرفق، وتوخي السداد" (الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، 1974م)؛ لهذا نجد تسابق الشّعراء الغرناطيين إلى وصفه ونقل صورة متكاملة عنه، بناءً على ذلك تمحورت موضوعات صورة الغني بالله حول المحاور الآتية:

أولاً: صورة الغني بالله السّلطان

لقد نقل لنا الشّعراء صورة السّلطان الغني بالله واشاروا إلى صفاته السّلطانية التي لفت انتباههم وجعلهم يتفننون في طريقة تصويرهم، ومن الصفات التي تناولوها في نظمهم: الصّبر على المحن، وتحمل مسؤولية إدارة الحكم، والدفاع عن المملكة بالوقوف بوجه أعداء الأندلس والإسلام، والسّهر على أمن وراحة شعبه، وكذلك اشاروا إلى وقاره وعزمه وثباته، وذكروا حزمه ولينه مع رعيته وقسوته مع أعدائه. ومن ذلك قول الشّاعر (النميري، 2003، الصفحات 49-50):

نَدْبٌ حَلِيمٌ مُشْفِقٌ مُتَعطِّـــفٌ ... وَرَدَى الْوَرَى مِنْ عَفْوِهِ فِي غَفْوَةِ
ذُو الْفَضْلِ بَادٍ عَفْوُهُ عَنْ زَلَّةٍ ... ذُو الحِلْمِ مُغْضٍ مَجْدُهُ عَنْ هَفْوَةِ
لَمْ تُلْهِهِ الدُّنْيَا وَلاَ شَهَوَاتُـــهَا ... أَرَأَيْتَ ذَا عَقْلٍ يَلَذُّ بِشَـــــــهْوَةِ

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

لقد أشار الشّاعر في هذه الأبيات إلى الصّفات التي يمتلكها السّلطان، فهو ملب للحاجات، مشفق متعطف على رعيته، حليم متأني في اتخاذ القرارات، لا تحكمه اهوائه، يمتلك رجاحة العقل والثبات أمام ملذات الحياة، ونراه يوظف أسلوب التّكرار اللفظي؛ لتثبيت عفوه في أذن المتلقي في قوله: (مِنْ عَفْوِهِ – بَادٍ عَفْوُهُ)، وكذلك نجد التّكرار الاشتقاقي بين كلمتي (حليمٌ – ذو الحلم) وهذا النوع من التكرار يؤكد المعنى ويبرزه.

وفي أبيات أخرى يصور الشّاعر همة السّلطان ووقاره، ويقول (النميري، 2003، صفحة 50):

ذُو هِمَّةٍ أَعْزِزْ بِهَا مِنْ هِمَّـــــةٍ لِكَمَالِهَا وَجَلاَلِهَا مَعْـــــزُوَّةِ
بَادِي الْجَلاَلَةِ وَالْوَقَارِ إِذَا احْتَبَى أَبْصَرْتَ هَضْباً عَاقِداً لِلْحَبْوَةِ

وفي موضع آخر صور الشّاعر السّلطان وجعله ذات صفات كثيرة متراوحة بين اللين والشّدّة كل حسب مقامه ومن ذلك قوله (النميري، 2003، صفحة 127):

مَلِكُ المُلُوكِ اللَّيِّنِينَ شَمَائِـــلاً وَالمُغْلِظِينَ عَلَى العِدَى إِغْلاَظَا
الكَاظِمِينَ الغَيْظَ وَالعَافِينَ عَنْ كُلِّ امرِىءٍ كُلٌّ عَلَيْهِ اغْتَـــاظَا

لقد أبدع الشّاعر عندما وصف الغني بالله بملك الملوك المعروف بأخلاقه وخصاله والطّباع الحسنة، الشّديد على الأعداء، ونراه يوظف الاقتباس ليبين للمتلقي مدى القدرة التي يملكها الملك عند الغضب والصّبر على الظلم والمتاعب، وكفه عنه شرهم والعفو عنهم رغم القدرة على الانتقام وذلك من قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾(آل عمران،134).

ونجد تصوير الشّعراء لرباطة جأش السّلطان وعزمه وثباته، فهو المدافع عن الإسلام والملسمين(النميري،2003، صفحة 54):

إِمَامُ الْهُدَى الْمَشْهُورُ بِالْبَأْسِ وَالنَّـــدَا وَأَكْـرَمُ مُؤوٍ لِلطَّرِيدِ الْمُعَوَّثِ
وَحَامِي حِمَى الإِسْلاَمِ وَالْخَيْلُ تَلْتَقِي بِمُخْتَلَيَـاتٍ لِلْجَمَـاجِمِ فُـــرَّثِ
هُمَـامٌ لَهُ رَتْقٌ لِمَا فَتَقَ الـــــرَّدَى وَنَـدْبٌ لَـهُ لَـمٌّ لأيّ تَشـــعُّثِ

لم يكتفِ الشّاعر بتلك الصّفات السّلطانة بل نراه يُصور شهامة السّلطان وحزمه فيقول (النميري، 2003، صفحة 64):

شَهْمٌ أَخُو حَزْمٍ سَلِيمٌ رَأْيُهُ لَمْ نَرْمِ كَفُّ النَّقْدِ مِنْهُ بِبَهْرَجِ

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

ومن الصّفات السّلطانة الأخرى التي وجدها الشّعراء في السّلطان الغني بالله عدله ورفعه للمظالم (النميري، 2003، صفحة 170):

وَكَمِ اسْتَقَصَّ لِكُلِّ مَظْلُومٍ أَتَى مِنْ ظَالِمِيهِ أَعْظَمَ اسْتِقْصَاصِ

يُشير الشّاعر في هذه الأبيات إلى عدله ورد المظالم لرعيته متى ما طُلب منه ذلك، ويوظف الشّاعر (كم) الخبرية للدلالة على ثباتية هذه الصفات للسلطان، وجاءت جمالية الصّورة من خلال توظيف الشّاعر للتكرار الاشتقاقي بين الكلمات: (اسْتَقَصَّ – اسْتِقْصَاصِ) و (مَظْلُومٍ– ظَالِمِيهِ)، ونلاحظ كذلك تكرار بعض الأصوات مثل صوت (الميم) الذي تكرر (5) مرات وهذا الصوت من الأصوات المجهورة (مجمع اللغة العربية، 2008، صفحة 851) التي لها وقع وتأثير على أذن المتلقي.

ومن الصور الجميلة التي تدل على عدله قول الشّاعر (النميري، 2003، صفحة 202):

ذُو العَدْلِ أَذْهَبَ عَنَّا الضُّرَّ أَجْمَعَهُ فَلَوْ سَرى عَدْلُهُ لِلصُّلِّ مَا نَهَشَا

ويستعين الشاعر هنا بالطبيعة الحية ويعطي حركة واستمرارية لعدل السلطان، فهو صاحب العدل مُبعد الضّرّ، ويُغالي بوصفه عندما يختار أخبث أنواع الأفاعي في تصويره، ويجعل عدله لو فشا فيه لحولته إلى أفعى لا تلسع ولا تضُر، ولتقريب الصورة يوظف (لو) ويجعل الغلو مستساغاً للمتلقي.

ومنه كذلك قول الشّاعر (الصريحي، 1997، صفحة 78):

أَدْرَرْتَ أَرْزَاقاً رَفَعْتَ مَظَالِماً هَذَا وَكَمْ فَرَّجْتَ مِنْ أَزَمَاتِ

ومن الصّور الأخرى التي نقلها لنا الشّعراء صفة العظمة التي كان يمتلكها الغني بالله، ومن ذلك قول الشّاعر (النميري، 2003، صفحة 193)

أَيَا مَلِكَ الأَمْلاَكِ غَرْباً وَمَشْرِقَـــــا وَذَا الدُّرَّةِ الغَرَّاءِ دَامَ لَهَا البَقَا
وَأَعْظَمَ سُلْطَانٍ حَوَى المَجْدَ وَالعُلاَ وَكَانَ لَهُ فِي دُرَّةِ العِزِّ مُرْتَقَى
وَأَكْرَمَ مَلْكٍ شَرَّفَ اللَّهُ قَـــــــدْرَهُ وَزَيَّنَهُ بِالعِلْمِ وَالحِلْمِ وَالتُّقَـــى
وَيَا رَجُلَ الدُّنْيَا وَوَاحِدَهَا الَّـــذِي بِأَدْنَيَالِهِ كُلُّ الكَمَـــالِ تَعَلَّقَا
وَأَنْتَ لأَهْلِ الأَرْضِ خَيْرُ خَلِيفَـةٍ تَخَيَّرَ أَعْلاَقَ المَفَاخِرِ وَانْتَقَى
وَأَنْتَ الَّذِي أَعْزَزْتَ دِينَ مُحَمَّـــدٍ وَجَمَّعْتَ مِنْ أَحْزَابِه ما تَفَرَّقَا

لقد صور الشّاعر السّلطان الغني بالله بأنّه ملك الأملاك والسّلطان الأعظم الذي حوى المجد والعُلى، وحكم المغرب والأندلس بعزمه، وحمى الإسلام والمسلمين، ودافع بكل ما يملك عن الدّين والوطن، ويُبالغ في وصفه عندما يجعل السلطان رجل الدنيا وواحدها، ويوظف الشّاعر تقنيات لغوية

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

كثيرة لتوصيل المعنى بأيسر الطرق للمتلقي، منها (أسماء التفضيل) في قوله: (أَعْظَمَ- أكْرَمَ)؛ ليدل على تفوقه في تلك الأمور على غيره، وأسلوب النّداء ب(أيَا- يَا) للدلالة على الشّعرية الخطابية، وكذلك نجد أسلوب التكرار يسيطر على النّص، فقد كرر الشاعر حرف النداء وكذلك لفظة (خير) و كرر الضمير (أنت) لدلالة على العظمة وحصر الأمور عليه ونسبه إليه.

وفي المعنى ذاته يقول الشّاعر مصوراً السّلطان بأبهى صورة فيجعله حامي الإسلام والمسلمين، مرعب الأعداء، موفي بالوعود إذا وعد (الصريحي، 1997، صفحة 143)

وَأَنْتَ الذِي أَعْلَى بِكَ اللهُ دِينَـــــهُ ... وَأَغْنَى بِكَ الإِسْلامَ مِنْ نَفَلِ الكُــفْرِ
فَمَا اسْتَيْقَظَتْ مِنْهُ الجُفُونُ لِخِيفَةٍ ... وَلا نَامَ جَفْنُ النَّصْلِ مِنْهُ عَلَى حَـذْرِ
وَيَا رُبَّ لَيْلٍ فِي الجِهَادِ سَهِرْتَـــهُ ... مُطَاوِعَ حَزْمٍ بِتَّ مِنْهُ عَلَى حَـــــذْرِ
تَنَامُ بِهِ مِلْءَ العُيُونِ جُيُوشُـــــــهُ ... فتَحْفَظُهَا مِنْ حَيْثُ تَدْرِي وَلا تَــدْرِي
وَسَلَّتْ سُيُوفاً مُذْهِبَاتٍ بُرُوقُـــــهُ ... فَطَارَ لَهَا قَلْبُ الجَبَانِ مِنَ الذُّعْـــــرِ

وبأسلوب الحوار والتّخاطب يُصور لنا الشّاعر مكانة هذا السّلطان وكيف اختاره الله ليكون حامياً لدينه، مدافعاً عنه، ويوظف أساليب بلاغية مختلفة لإيصال تلك الفكرة، ومنها أسلوب التّكرار اللفظي في قوله: (بك) و(منه على حَذرِ)، وكذلك فن الطباق بين كلمتي (الإسلام- الكفر) و(استيقظ- نام)، وأسلوب النفي والإثبات في قوله: (تدري ولا تدري)، وكل ذلك جعل النّص أقرب إلى المتلقي ليكون لديه فكرة متكاملة عن الصّفات التي كان يمتلكها السّلطان الغني بالله.

وفي موضع آخر يقول الشّاعر واصفاً فترة حكمهِ (الصريحي، 1997، صفحة 45):

وَمَآذِنٍ أَخْرَسْتَ مِنْ نَاقُوسِهَا ... فَتَشَهَّدَتْ فِيهَا الجُيُوشُ وَكَبَّرُوا
والمُسْلِمُونَ تَنَامُ مِلْءَ عُيُونِهَا ... لَمَّا دَرَتْ أَنَّ الخَلِيفَة يَسْـــهَرُ

يُشير الشّاعر إلى الأمن والأمان التي كان يتمتع بها الدّولة الأندلسية في فترة حكمهِ.

ومن الأمور السّلطانية التي التفت إليها الشّاعر الغرناطي في وصف السّلطان الغني بالله المكانة التي كان يعتليها (الصريحي، 1997، صفحة 44):

يا ابْنَ الأيِمَّةِ مِنْ بَنِي نَصْرٍ وَمَنْ ... وَرِثُوا العُلَى والمَجْدَ أَكْبَرُ أَكْبَرُ
كُلٌّ يَقُولُ: بِأَنَّكَ المَوْلى الـــــذِّي ... لِزَمَـــانِهِ النَصْرُ المُؤَزَّرُ يُذْخَرُ
إنْ كُنْتَ أَحْرَزْتَ المَفَاخِرَ مُفْرَداً ... تَدْرِي عِدَاتُكَ أَنَّ سَعْدَكَ عَسْكَرُ
وَلَقَدْ ظَهَرْتَ مِنَ الكَمَالِ بِمُسْتَوىً ... مَا بَعْدَهُ لِذَوِي الخِــلافَةِ مَظْهَرُ

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

في هذه الأبيات صور لنا الشّاعر المكانة المرموقة التي كان السّلطان يتولاها فهو صاحب رفعة وشرف، ولا غرابة في الأمر؛ لأنه وارث كل ذلك من أجداده، فهور محرز المفاخر، متكامل الصّفات كما يجب أن يكون الخليفة.

ومن الصّفات السّلطانية التي نجدها عند الغني بالله صفة الصّبر على المحن، ومن ذلك قول الشّاعر (الصريحي، 1997، صفحة 68):

وَحَشَاكَ أَنْ لا تَرْضَى حُكْمَ خَالِقٍ بِمَا شَاءَ مِنْ أَقْدَارِهِ الغُرِّ زَارَكَا
ونَسْمةُ تَوْحِيدٍ يَنَمُّ بِهَا الرِّضـــــــا يَكُونُ بِهَا خَيْرُ البَرِيَّةِ جَـــارَكَا
صَبَرْتَ لتُعْلِي دِينَ أَكْرَمِ شـــــافِعٍ فَأَعْلَى بِهَا الرَبُّ الكَرِيمُ مَنَارَكَا

لقد صور لنا الشّاعر هنا صفة الصّبر التي كان يمتلكها الغني بالله ومن صور صبره الصّبر على محنة الابتلاء بمرض، وجعل من صبره على تلك المحنة سبباً لرفع راية الإسلام عالياً في الأندلس.

ومن الصّفات السّلطانية الأُخرى التي نجدها مغروسة عند السّلطان الغني بالله، صفة الرّحمة التي كان يمتلكها، ومنه قول الشّاعر (الصريحي، 1997، صفحة 115):

مَا أَنْتَ إِلَّا رَحْمَةٌ مَبْثُـــــوثَةٌ فَضْلُ الإِلَاهِ بِهَا عَلَى الإِسْلَامِ عَمْ
سُبْحَانَ مَنْ وَلَّاكَ أمـــرَ عِبَادِهِ وَحَبَاكَ بِالحُكْمِ العَـــــزِيزِ وَبِالحِكَمْ

إن صفة الرّحمة من صفات الله تعالى واسم من اسمائه الحسنى، فهو (الرّحمن الرّحيم)، وهي من الصّفات التي حث الرّسول (صلى الله عليه وسلم) عليها، ويصور لنا الشّاعر هذه الصّفة في الغني بالله، إذ نجد الرّحمة قد حُصرت به من بين الخلق، ولرسم هذه الصّورة يوظف الشّاعر أسلوب الحصر بـ(إلا) ليجعل هذه الصّفة له وحده والمعروف أن الغاية من الحصر هو تقرير الكلام في ذهن المتلقي (الهاشمي، 2008، صفحة 201)، وكذلك يوظف الجناس غير التّام في قوله: (الحُكْمِ– الحِكَمْ) ليجعل الصورة يُتأمل فيها أكثر من المتلقي؛ لأن الجناس يكون فيه استدعاء لميل السّامع والإصغاء إليه، فالنفس تستحسن المكرر مع اختلاف معناه (الهاشمي، 2008، صفحة 424).

ثانياً: صورة الغني بالله القائد الشّجاع المِقدام

ومن الأمور التي سُلط الضوء عليها من قبل الشّعراء نقل صورة القائد المحارب الشّجاع، الذي يغزوا ويحارب دون أن ينتابه أدنى خوف، فهو يحارب باسم الدّين فنراه مِقداماً لجيشه، مجاهد حازم

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

السّيف لا يخشى الأعداء، حامي معاقل المسلمين رافع رايتهم عالياً، ذا جيش قوي يهابه الكفار، يُحقق النّصر في أي معركة يخوضها.

ومن ذلك قول الشّاعر مصوراً شجاعة السّلطان الغني بالله وإقدامه في المعارك (النميري، 2003، صفحة 182):

هُمَامٌ إِذَا اصْطَفَّ العَدُوُّ فَدُونَـــــهُ ... تَلاَحِ بِأَطْرَافِ القَنَا وَتَـــــــلاَغِ
شَدِيدُ قُوَى لَمْ يَضْـــــــغَ يَوْماً وَإِنَّهُ ... لَهُ كُلّ مَلْكٍ فِي المَعَاقِلِ ضَـــــاغِ
أَخُو عَزَمَاتٍ لِلْمَنُونِ أَمَامَـــــــــهُ ... مَدَى الدَّهْرِ فِي نَهْبِ النُّفُوسِ تَنَاغِ
وَلَيْثُ الوَغَى الشَّهْمُ الَّذِي لِعـــدَاتِهِ ... بِأَسْيَافِهِ فِي التُّرْبِ أَيّ مَـــــــرَاغِ
جَرِيٌّ إِذَا زَحْفٌ أَتَى فَرِمَاحُـــــــهُ ... لَهَا فِي دِمَـــــــاءِ القِرْنِ أَيَّ وَلاَغِ
ثَبُوتٌ إِذَا الحَرْبُ الضَّرُوسُ تَنَاوَلَتْ ... مِنَ المَعْشَرِ القَتْلَى أَلَذَّ مَضَـــــاغِ

ومن الصّفات الأُخرى التي صورها الشّعراء للسلطان الغني بالله صورة الشّجاعة والقوة في المعارك، فهو القائد الشّجاع الذي لا يهاب شيئاً، ثابت العزم، يتقدم في المعارك تحقيقاً للنصر مهما كلفه الأمر، وقد وظف الشّاعر أساليب متنوعة لنقل تلك الصّورة منها (إذا) الشّرطية، فشجاعته وشدته وقوته والجرأة التي يمتلكها لا تظهر إلّا في مواطنها الصّحيحة، فليس من المعقول وصف السّلطان القائد الشّجاع وهو يتمتع بحياة السّلم والرّفاهية، وإنّما تظهر تلك الصّورة عندما يكون في الحرب إمام العدو.

وفي موضع آخر يقول الشّاعر (النميري، 2003، صفحة 193):

وَيَا خَيْرَ مَنْ قَادَ الجِيَادَ إِلَى الوغَى ... وَأَرْعَدَ فِي جَوِّ الأَعَادِي وَأَبْرَقَـا
وَقَامَ مَقَامَ الجَيْشِ فِي الحَرْبِ وَحْدَهُ ... وَبِالسَّيْفِ بَيْنَ الرُّشْدِ وَالغَيِّ فَرَّقَا

فهو القائد المِقدام الشّجاع الذي لا يخشى الموت، ويوظف الطّبيعة لرسم صورة القائد ويرسم بكلماته لوحة جميلة وكأنّه فلم وثائقي يُعرض على حواس المتلقي، فالسّلطان الغني بالله البطل الذي يقود الجياد في المعركة كرجل واحد، وذلك في قوله: (أرعد.... وابرق) معتمداً على الصّورة السّمعية والبصرية، والاعتماد على الحواس في نقل الصّورة يجعل الصّورة عالقة في ذهن المتلقي (الخاتوني، 2021، صفحة 39) ويشغل مخيلته في التّأمل العميق بشخصية هذا القائد الشّجاع.

ومنه كذلك قول الشّاعر (النميري، 2003، صفحة 212):

هُمَامٌ أَطَاعَتْهُ البِـــلاَدُ وَأَهْلُـــــهَا ... وَلاَ عِزَّ إِلاَّ جَلَّ مِنْـــهُ بِمُسْتَـــــوَى
هُوَ النَّارُ وَالنَّـــــاسُ الهَوَاءُ إِذَا بَدَا ... وَلاَ شَكَّ أَنَّ النَّارَ تَعْلُو عَلَى الثَّوَى

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

وَلَيْثٌ إِذَا مَا ظَلَّ يَهْدِرُ غَاصَ فِي دِمَاءِ العِدَى الذِّئْبُ الذي إِثْرَهُ عَوَى
لَهُ جَمَعَ اللَّهُ الشَّجَـــــاعَةَ كُلَّهَا فَكَانَ سِوَاهُ مِنْ شُجَاعٍ كَلاَ سِـــوَى

وفي هذه الأبيات يصور الشّاعر قوة السّلطان في إدارة البلاد، ثم يرى أن الله قد جمع الشّجاعة كلها له، فلا شجاع إلا هو، وقد وظف اسم الاستثناء (سوى) لذلك وكرره مرتين؛ ليثبت تلك الصّفات به دون سواه.

وفي المعنى نفسه يقول الشّاعر (الصريحي، 1997، صفحة 121):

فَعَسَى الجِهَـــادُ مَعَ الغَنِيِّ بِرَبِّهِ مُتَكَفِّلٌ بِغِنَى الفَقِيرِ المُمْـلِقِ
يَا خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الجِيَادَ وَقَادَهَا نَحْوَ الجِهَادِ بِعَزْمَةٍ لَمْ تُخْفِقِ
بِلِوَاءِ مَنْصُـــــورٍ وَعَزْمَةِ وَاثِقٍ وَحُسَامِ سَفَّاحٍ وَرَأْيٍ مُوَفَّـــقِ

لقد صور لنا الشّاعر في هذه الأبيات صورة القائد الشّجاع المِقدام، ونراه قد حصر (الجيش به) وكأنه هو الوحيد الذي يُقاتل ويأتي بالنّصر في قوله: (يَا خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الجِيَادَ وَقَادَهَا)، فهو ذا عزيمة لا تُخفق مهما كان قوة العدو الذي أمامه، فهو ماض في تحقيق الهدف، واثق بسيفه لنيل النصر، فكان توظيف الشّاعر لعبارة (حُسام سفّاح) توظيفاً موفقاً فقد البس الكلمات صورة سيفه (الشّديد القاطع) وأتى بكلمة السّفّاح ؛ لأثبات كثرة المعارك التي قادها وانتصر فيها سيفه الذي عُرف بسفك دماء الأعداء.

ومن الأبيات التي تؤكد شجاعته وإقدامه وتفرده في ذلك قول الشّاعر (الصريحي، 1997، صفحة 134):

وَمَنْ يُقْدِمُ الأَبْطَالَ يَسْرِي أَمَامَهَـــــا مِنَ الرُّعْبِ جَيْشٌ لا يَزَالُ مُؤَيَّدَا
وَهَالاتِ جَيْشٍ خَلْفَ سُحْبِ عَجَاجَةٍ تَحُفُّ بِبَدْرٍ بِالكَمَـالِ قَدِ ارْتَـدَى
سِوَى مَلِكٍ زَانَ الوُجُودَ وُجُـــــودُهُ وَأَصْـــدَرَ فِي ذَاتِ الإِلَهِ وَأَوْرَدَا

فهو المِقدام مع أبطال جيشه ومدخل الرّعب في قلوب الأعداء، ويستعين بالطّبيعة الصّامتة لرسم تلك الصّورة، ولطالما ساعدت الطبيعة على اتساع خيال الشّعراء الذين جعلوها مصدر إلهامهم الأول (الجميلي، 2024، صفحة 1436 مجلد 19 ع2 ج2)، فيصور جيشه والغبار من حوله وكأنّه هالة ملتفة حول القمر، ويبدع في ذلك.

ثالثاً: صورة الغني بالله الكريم السّمح

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

ويُعد الكرم من الصّفات التي تناولها الشّعراء في قصائدهم، إذ صوروا السّلطان الغني بالله بأجمل الصّور في هذا الجانب، فالكرم " تدل على الفروسية عند العرب، وكانوا يعبرون عن انعدامها بالفُحش أي البخل، وبرزت هذه الصفة في قصيدة المدح بوصفها أهم صفة ينبغي أن يتصف بها الممدوح " (يونس، 2012، صفحة 136)، وقد أبدع الشّعراء في تصوير جود الغني بالله، فجعلوه تارة كالغيث، وتارة أخرى كالبحر. ومن ذلك قول الشّاعر (النميري، 2003، صفحة 138):

إنَّ ابْنَ يوُسُفَ مَلْكٌ حَـــــوَى فَضَائِلَ تُنْظَـمُ مِثْلَ اللآلي
وَقَدْ أَعْجَزَ الُسُّحْبَ عَنْ جُودِهِ فأدْمُعُهَا لَمْ تَزَلْ فِي انْهِمَالِ
وَمَا مُطِلَ السّائِلُـــونَ اللُّهَى وَلَوْ سَكَتُوا جَادَ قَبْلِ السُّؤَالِ

لقد صور الشّاعر هنا جود الغني بالله وبالغ في تصويره عندما جعله يفوق السّحب في جوده، وكذلك زاد من جمالية التّصوير عندما جعله جواداً يُكرم المحتاجين قبل السّؤال، وهذا دليل حرصه على رعيته وعدم انشغاله عنهم، وقد وظف الشّاعر (قد) الذي أفاد التّحقيق وثبّت صفة الكرم في ممدوحه.

ومنه كذلك قول الشّاعر (الصريحي، 1997، صفحة 133):

تَرُوحُ وَتَغْدُو مِنْهُ سُحْبُ مَكَارِمٍ يَجُودُ نَدَاهَا كُلَّ مَنْ رَاحَ وَاغْتَدَى
يُفَجِّرُ مِنْ يُمْنَيْهِ عَشْرَةَ أَبْحُـــرٍ تُظَنُّ غَمّاماً كَوْنَهَا تَصْحُبُ اليَدَا

لقد أشار الشّاعر في هذه الأبيات إلى جود السّلطان فأبوابه مفتوحة دائماً لكل رائح وغاد، حتى أنّه شبه كرمه بالبحر الذي خيره لا ينتهي، فكيف أن وصف يُمنيه يفجر منه عشرة أبحر؟ وقد وظف الطباق في البيت الأول مما أضفى على النّص رونقاً من نوع آخر وزاد من وضوح المعنى وذلك بين كلمتي: (تروح – تغدو) و (راح– واغتدى).

ومنه أيضاً قول الشّاعر (الصريحي، 1997، صفحة 147):

فَقَدْ صَارَ مِنْكَ العَزْمُ لِلسَّيْفِ مَقْطَعاً وَأَصْبَحَ مِنْكَ الجُودُ لِلبَحْرِ مَنْبَعَا

جعل الشّاعر يد السّلطان من كرمه منبعاً للبحر؛ لأنه دائم العطاء، يمنح بسخاء دون توقف كما هو حال البحر الذي لا ينضُب مائه.

رابعاً: صورة الغني بالله العالم التّقي

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

ولم ينسَ الشّعراء العلم الذي يمتلكه الغني بالله، فهو كان عالماً متمكناً فصيحاً، تقياً يخشى ربه لا يخرج عن تعاليم الدّين الإسلامي، لا تلهيه ملذات الحياة عن عبادة ربّه وذكره، وفي هذا يقول الشّاعر (النميري، 2003، صفحة 128):

خَاشٍ بِذِكْرِ اللَّهِ جَلَّ جَلاَلُهُ أَبَداً يَلِظُّ مُوَاصِلاً إِلْظَاظَا

على الرّغم من الحياة السّلطانية والجاه والمال الذي كان يتمتع به الغني بالله إلّا أنّه كان ملتزماً بتعاليم الإسلام، يخشى رابه دائماً، ولسانه ملازم لذكره.

ومنه كذلك قول الشّاعر (النميري، 2003، صفحة 166):

مُتَدَفِّقٌ عِلْمـــــاً يُغَصُّ بِرِيقِـــهِ مَنْ جَاءَ يَخْصِمُ أَعْظَمَ الإِغْصَاصِ
مِنْ خَائِضٍ بَحْرَ المَعَارِفِ سَابِـحٍ فِيهِ عَلَى دُرٍّ بِهِ غَـــــــــوَّاصِ
وَإِذَا العُلُومُ عَلَى سِوَاهُ اسْتُعْوِصَتْ طَاعَتْ لَهُ وَأَبَتْ عَلَى اسْتِعْـــوَاصِ

لقد أجاد الشّاعر في هذه الأبيات عندما صور للمتلقي إمكانيّة الغني بالله العلمية، إذ جعل علمه متدفقاً كالماء، فلا أحد يستطيع مجاراته في ذلك، ومن يجازف يغص بريقه مضطرباً من كثرة المعلومات التي يمتلكها، ففي العلم ليس له منافس، فلا يستعوص عليه العلوم بل تطيعه العلوم وتأبى أن يستعوص عليه.

ويصور الشّاعر تقوى الغني بالله وقوة إيمانه ويقول (النميري، 2003، صفحة 166):

بَاكٍ لِذِكْرِ اللَّهِ جَلَّ مُوَاصِـــــلٌ زَاكٍ بِتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ مُـــــوَاصِ
فِي الزُّهْدِ وَالعِلْمِ الإِلهِي اقْتَدَى بِالشَّيْخِ بَرْهِيمَ الرِّضَى الخَوَّاصِ
غَرْنَاطَةٌ فَخَرَتْ بِبَحْرِ عُلُومِهِ وَحَمَاةُ لَمْ تَفْخَرْ بِغَيْرِ العَـــاصِ

يصور لنا الشّاعر في هذه الأبيات صورة خشوع الغني بالله ومواصلة ذكر ربّه دون أدنى تغافل، فهو العالم التّقي الزّاهد، وما يملكه من علوم جعلت غرناطة تفخر بعلمه الذي لا يضاهيه أحد في ذلك في المشرق، ويأتي بحماة المدينة الشّامية لعقد تلك المقارنة بين المغرب والمشرق، فليس في المشرق أحد مثل الغني بالله و أن كان هناك شيء يفخر به حماة فهو نهرها (العاصي).

وفي صورة أخرى يُشير الشّاعر إلى علمه وتقواه ويقول (النميري، 2003، صفحة 173):

وَفَضَّلَكَ الرَّحْمَـــــنُ بِالعِلْمِ وَالتُّقَى فَقُمْتَ بِمَا يُرْضِيهِ فِي النَّفْلِ والفَرْضِ
وَأَصْبَحْتَ فِي الأَمْلاَكِ أَمْجَدَ أَوْحَداً تَحُضُّ عَلَى دِينِ النَّدَى أَيَّمَـــا حَضِّ

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

لقد أشار الشّاعر إلى أنّ الله هو الذي فضله على العالمين بعلمه وتقواه، وكان على قدر تلك الأمانة والتزم بتقواه وأقام فرائضه ونوافله، وقد قدم الشّاعر السّنة على الواجب بقوله: (النّفل والفرض) لغاية دلالية إيحائية جميلة وهي مدى التزام الغني بالله بالعبادات التي فرضها الله والتي لم يفرضها، فهو كان تقياً لدرجة أنّه لم يكن يدع نافلة أو فريضة إلّا و أقامها على أتم وجه، ولم يكن يكتفي بذلك بل كان يحث عليها.

خامساً: صورة الغني بالله الجميل

لقد كان جمال وجه الممدوح من الأمور التي إلتفت إليها الشّعراء على مر العصور وذهبوا يصورون جمال وجه الممدوح والنّور الذي يُشع من جبينه، وكذا الحال بالنّسبة لشعراء بني الأحمر في الأندلس في وصف السّلطان الغني بالله، فنراهم تارة يصورون جمال وجهه وكأنّه قمرٌ منير، وتارة أخرى نراهم يجعلونه شمساً وقد اكتسبت الكواكب النّور منه. ومن ذلك قول الشّاعر (النميري، 2003، صفحة 63):

لَوْ كَانَ عِنْدَ الْبَدْرِ بَعْضُ جَمَالِهِ عِنْدَ اشْتِدَادِ الرِّيحِ لَمْ يَتَمـــــوَّجِ
أَوْ جَازَتِ الظَّلْمَاءُ نُورَ جَبِينِـــــهِ لَمْ تَبْغِ صَدْعَ صَبَاحِهَا الْمُتَبَلِّجِ

في هذين البيتين نرى تصوير الشّاعر جمال وجه الغني بالله الذي فاق البدر به، وكذلك يُشير إلى نور جبينه الذي أن نفذ الظّلماء لم تشرق شمس الصّباح من شدّة نوره.

ومنه كذلك قول الشّاعر (الصريحي، 1997، صفحة 79):

وَوَجْهُكَ – زَادَ الله وَجْهَكَ نَضْرَةً تُغِرُ بِهِ تَاجَ البُدُورِ العَمَـــــــائِمُ
فَلَوْ رَامَ وَجْهُ الصُّبْحِ شِبْهَ جَمَالِهِ حَكَمْنَا بِأَنَّ الصُّبْحَ فِي الأُفْقِ نَائِمُ

في هذه الأبيات نجد تصويراً جميلاً لوجه الغني بالله التي وضحتها الجملة الاعتراضية – زاد الله وجهك نضرة– ولإكمال تلك الصّورة يأتي الشّاعر بالأسلوب الشّرطي بقوله: (فلو رام) متماً بذلك وصف جمال وجهه المشع نوراً.

وفي أبيات أخرى يصور الشّاعر نور وجهه ويقول (الصريحي، 1997، صفحة 262):

مَوْلايَ يَا مَعْنَى الجَمَالِ وَسِرَّهُ وَالكَوْنُ أَلْسُنُـــهُ بِفَضْلِكَ تَنْطِـــقُ
فِي كُلِّ عَيْنٍ مِنْ جَمَـالِكَ قُرَّةٌ وَبِكُل قَلْـــبٍ لِلتَّجَلِّي مَشْـــــرِقُ
وَلَكَ السَّمَاحَةُ والمَلاحَةُ كُلُّهَا وَلَكَ المَحَاسِنُ وَالجَمَـــالُ المُطْلَقُ
فالبَدْرُ يَأْخُذُ مِنْ جَبِينِكَ نُورَهُ وَالشَّمْسُ مِنْ قَسَماتِ وَجْهِكَ تُشْـرِقُ

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

الشّمْسُ أنْتَ وَإنَّمَا أنْوَارُهَـــا تُهْدِي الضِيَاءَ وَحَرُّهَا لا يُحْـــــرِقُ

يجعل الشّاعر الغني بالله ذا وجه بشوش سمح، بل يُحصر الجمال بوجهه، فتارة يجعل البدر يأخذ من نور جبينه، وتارة أُخرى نرى أنّ الشّمس تشرق من وجهه، وهنا يُبالغ الشّاعر في التّصوير ولا يكتف بهذا القدر بل يجعله الشّمس والذي يهب نوره للأشياء ولكن حرها لا يحرق، ونلاحظ توظيف الشاعر للألفاظ الدالة على الجمال وذلك في قوله: (الجَمَالِ- جَمَـالِكَ- الجَمَـــــالُ)، ثم يمضي في تصويره موظفاً لفنون بلاغية متنوعة في هذه الصّور الجميلة التي أبدع فيها منها مراعاة النّظير في قوله: (البدر.... الشّمس)، وكذلك المبالغة في الوصف في قوله: (فالبَدْرُ يَأْخُذُ مِنْ جَبِينِكَ نُورَهُ)، وكذلك توظيفه للتشبيه في قوله: (الشّمس أنت..) الذي كان له دور كبير في رسم الصورة لأنه يعد "أصول التّصوير البياني، ومصادر التّعبير الفني ففيه تتكامل الصّور وتتدافع المشاهد" (الصغير، د.ت، صفحة 38)، فقد قدم المشبه به (الشّمس) على المشبه (السّلطان) تأكيداً منه على صفة المشبه به وقوة الاشتراك بينهما في النّور والضوء، وأخيراً يأتي بالتّرادف في البيت الأخير ليضفي جمالاً من نوع آخر على النّص ويجعل المتلقي يتأمل في جمال وجه الغني بالله وذلك في قوله: (أنوار وضياء).

فجمال وجه الغني بالله جمال لا مثيل له لدى شعراء القرن الثّامن في الأندلس ومن ذلك قول الشّاعر (الصريحي، 1997، صفحة 481):

يَا مَنْ لَهُ الوَجْهُ الجَمِيلُ إذَا بَدَا فَاقَتْ مَحَاسِنُهُ البُدُورَ كَمَالاَ

فالغني بالله له جمال يفوق به البدر في كماله إذا ظهر، وقد أجاد الشّاعر عندما قابل بين وجه الغني بالله والبدور؛ لكي يثبت للمتلقي جمال ذلك الوجه الذي فاق جمال كل الأقمار.

سادساً: صورة الغني بالله ذات الحسب والنّسب

وقد أشاد الشّعراء في القرن الثّامن الهجري بتصوير نسب الممدوح وقبيلته، والافتخار بذلك، والمعروف "إنّ الإشادة بعراقة النّسب أمر أعتاد عليه الشّعراء في قصائدهم المدحية على مر العصور وذلك لما له من أثر نفسي كبير لدى الشخص الممدوح، وهو أمر يخص عامة الممدوحين، فكيف أن كان هذا الممدوح هو من الملوك والأمراء" (يونس، 2012، صفحة 142) وهذا ما وجدناه في دواوين شعراء القرن الثّامن، ومن ذلك قول الشّاعر مصوراً أُسرة ونسب السّلطان الغني بالله (النميري، 2003، الصفحات 122-123):

مَلِكُ الْمُلُوكِ وَمُحرِزُ الْمَجْد الَّذِي قَدْ جَلَّ مِقْداراً وَجَـلَّ الْمُحْـــــرِزُ

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتماعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

خَيْرُ السَّلاَطِينِ الْكِرَامِ مُمَـــدَّحٌ أَثْنَى عَلَيْهِ مُقَصِّدٌ وَمُرَجِّـــــزُ
مِنْ أُسْرَةٍ غُرِّ الْوُجُوهِ خَـــلاَئِفٍ تَتَضَاءَلُ الشُّهْبُ العُلاَ إِنْ يَعْتَزُوا
مِنْ آلِ قَحْطَـــانَ الَّذِين هُمُ هُمُ وَالْخَيْلُ تَعْجَلُ لِلنِّزَالِ وَتَحْفِـــــزُ
وَهُمُ الَّذِينَ تَوَارَثُوا الشَّرَفَ الَّذِي يُغْنِي مَآثِرَهُ الزَّمَـــــانُ وَيَكْنِزُ
وَمُحَمَّدٌ فِيهِمْ أَجَـــــلُّ خَلِيفَةٍ وَأَغرُّ نَدْبٍ بَذْلُـــــــهُ لاَ يُعْوِزُ

يُشير الشّاعر في هذه الأبيات إلى تصوير عراقة الأسرة التي ينتمي إليها الغني بالله، فهو ذو نسب شريف، والشّجاعة والإقدام في المعارك من الأمور التي ورثها منهم، وقد وظف الشّاعر تقنية التّكرار ولا سيما تكرار اللفظ؛ لبيان صورة الغني بالله وذلك في تكرار الكلمات: (جَلَّ) مرتين في البيت الأول، وتكرار الحرف (مِنْ) مرتين عمودياً في البيتين الثّالث والرّابع، وكذلك تكرار الضّمير (هُمُ) ثلاث مرات في البيتين الرّابع والخامس، وهذا الأسلوب من الأساليب التي لها وقع قوي على نفس المتلقي؛ لأنّه " يُضفي على اللغة كثافة تشد انتباه المتلقي وتحيل الاهتمام إلى طريقة التّعبير باللغة" (الخلايلة، 2004م، صفحة 32)

وفي المعنى نفسه يقول الشّاعر (النميري، 2003، صفحة 165):

مَلِكُ المُلُوكِ وَمُحْرِزُ الشَّـرَفِ الَّذِي نَاصَى النُّجُومَ فَكَانَ خَيْرَ مُنَاصِ
وَالوَارِثُ المَجْـــدَ الَّذِي شَهِدَتْ بِـهِ فِي عَبْدِ شَمْسٍ سَادَةُ الأَعْيَـــاصِ
آوٍ إِلَى حَسَبٍ لَهُ فَضْـــــلٌ عَلَـى ذَهَبٍ بِأَيْدِي النَّاقِدِينَ خَـــــلاَصِ
مِنْ آلِ خَزْرَجَ فِي الذَّوَائِبِ عِيصُـهُ بَدْرُ المَفَاخِرِ أَكْرَمُ الأَعْيَـــــاصِ
مِنْ عِلْيَةِ الأَنْصَـــــارِ مِنْ صُيَّابَةٍ صُبُرٍ عَلى نَصْرِ النَّبِي حِـــرَاصِ
مِنْ آلِ سَعْـــــدِ الخَزْرَجِ بْنِ عُبَادَةِ بْنِ دُلَيْمٍ المُوتَى لأَخْذِ قِصَـــــاصِ
مِمَّنْ نَمَى قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ ذُو النَّدَى وَعَلاَ مُصَاصٌ مُنْجِبٌ لِمُصَـــاصِ
مِنْ آلِ نَصْرٍ مِنْ مُلُـــــوكٍ قَادَةٍ يَحْمُونَ خَيْرَ مَنَـــــازِلٍ وَعِرَاصِ

أما هنا نجد تطرق الشّاعر إلى حسب الغني بالله فنراه يبرز مكانته التي حافظ عليها متوارثاً تلك المكانة من الآباء والأجداد، مفتخراً به، فهو ينتمي إلى آل خزرج وآل نصر المعروفين بالرفعة والشّرف، والمنزلة المرموقة، والشّجاعة والكرم، ونلاحظ لجوء الشّاعر إلى توظيف التّكرار بشكل ملحوظ لتصوير تلك الصّورة، وهذا الأمر أعتاد عليه الشّعراء وخاصة في هذا الجانب؛ لما له من أهمية وتأثير فعال في نفس المتلقي سواء كان هذا المتلقي هو الممدوح فينال بذلك رضاه ويُغدق عليهم بالعطايا، أو ينالوا

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

عطفه عليهم، ومن جهة أخرى إيصال صورة متكاملة عن نسب الغني بالله إلى المتلقي الآخر عندما يسمع هذه الأبيات فيُصاب بالدّهشة لعراقة أصله، والتّكرار اللفظي هو كان الطاغي على الأبيات نحو: (مِنْ) الذي تكرر عمودياً في القصيدة، وكذلك تكرار لفظة (آلِ) لبيان النسب الذي ينتمي إليه، والذي يعود أصله إلى قبيلة الخزرج القبيلة العربية المعروفة والتي أشاد المؤرخين بأصلهم (الجمال، 2018، الصفحات 12-33).

وهناك أبيات كثيرة عن نسب الغني نذكر منها قول الشّاعر (النميري، 2003، الصفحات 55-56):

مِنَ الْخَزْرَجِيّينَ الَّذِين سيُوفُـــــــهُمْ ... تُدَافِعُ عَنْ دِينِ الهُدَى كُلَّ مُكرِثِ
هُمُ مَا هُمُ أَنْصَارُ خَيْرِ الْـوَرَى الَّذِي ... لَـهُ بِحِـرَاءٍ دَامَ أَيُ تَحَنُّـــــــــثِ
وَإِنَّ ابْنَ نَصرٍ ذَا الْفَخَارِ مُحَمَّــداً ... لأَكْرَمُ سَاطٍ بِالعِدَى مُتَعَبِّـــــثِ
لَـهُ أُسْرَةٌ أَكْـــــرِمْ بِهَا خَيـرُ أُسْرَةٍ ... لِغُرِّ الْمَعَالِي وَالمَفَـــاخِرِ وُرِّثِ
مَآخِذُهُمْ فِي الْحَرْبِ ذَاتُ تَصعُّبٍ ... وَأَخْلاَقُهُمْ فِي السِّلْمِ ذَاتُ تَدَمّـثِ

إنّ الشّاعر يُشير إلى نسب الغني بالله الذي كما قلنا ينتمي إلى قبيلة الخزرج المعروفين بمساندة الرّسول (صلى الله عليه وسلم) عند هجرته من مكة إلى المدينة، ونلاحظ إشارة الشّاعر إلى اسم الغني بالله (محمد) تأكيداً منه على شخصه المقصود، فأسرته عُرفوا بالمعالي والعدل والشّجاعة والكرم، وبالأخلاق الحميدة، ومواقفهم كانت واضحة اتجاه الدّين الإسلامي، ولكي يصور لنا الشّاعر هذا النّسب الشّريف يلجأ إلى توظيف أدوات متنوعة منها الفنون البلاغية التي منها أسلوب التّكرار وذلك في تكراره للضمير: (هُمُ) ولكلمة (أسرة)، زد على ذلك الاستعانة بالشّخصيات الدّينية والتّاريخية وكل ذلك ساعد على جمال الصّورة التي اوصلها لنا الشّاعر عن الغني بالله وجعلنا كوننا من المتلقين أن نتأمل في نسبه الشّريف ونتعرف على عراقة الأصل الذي نبع منه.

الخاتمة

في ختام هذا البحث الذي قدمناه لصورة السّلطان الغني بالله عند شعراء القرن الثّامن الهجري في الأندلس توصلنا إلى جملة من النّتائج والتي يمكن حصرها بالنّقاط الآتية:

- نالَ السّلطان الغني بالله اهتمام الشّعراء خلال المدة التي حكم فيها الأندلس فصار موضوعاً لقصائدهم؛ لما عُرف به من صفات، وأبدعوا في وصفه.

- لم يأتِ شعراء القرن الثّامن في الأندلس بمعاني جديدة عند وصفهم للسّلطان الغني بالله، فأغلب المعاني تطرق إليها الشّعراء قبلهم.
- دارت معاني صورة الغني بالله عند شعراء القرن الثّامن الهجري حول السّلطان وصفاته التي عُرف بها من الشّجاعة والكرم، والعلم والحلم، والجمال والنّسب الشّريف.
- كانت لغتهم في تصوير الغني بالله سهلة لا غموض فيها، وجاءت الألفاظ ملائمة للمعاني.
- استعان الشّاعر الأندلسي بالطّبيعة لتوضيح صورة السّلطان الغني بالله، وكانت تلك الصّور في غاية الأبداع.
- اعتمد الشّعراء في عرضهم لصورة الغني بالله على الفنون البلاغية المتنوعة والتي منها المبالغة والتّشبيه، والطّباق، والجناس.
- كان التّكرار من الأساليب التي اعتمدها شعراء القرن الثّامن في تصويرهم، ونلاحظ ذلك بكثرة في الأشعار التي نُظمت في الغني بالله.
- لقد صور شعراء بني الأحمر في أشعارهم بطولات السّلطان الغني بالله، وتطرقوا إلى الأحداث التي وقعت في فترة حكمه.
- نجح شعراء القرن الثامن في الأندلس من نقل صورة متكاملة عن السّلطان الأندلسي الغني بالله حتى يُمكن أن نُعد ما نقلوه من صور وثائق تاريخية يُعتمد عليه وخاصة في الجانب السياسي منه ولا سيما في وصف شجاعته و قوة جيشه في المعارك والغزوات التي قادها.

المصادر

[1] إبراهيم بن الحاج النميري. (2003). ديوان إبراهيم بن الحاج النميري (المجلد د.ط). (عبد الحميد عبدالله الهرامة، المحقق) أبو ظبي، الإمارات المتحدة: المجمع الثّقافي.

[2] أبو الوليد إسماعيل بن الأحمر. (1987م). نثير الجمان في شعر من نظميني وإياه الزّمان (المجلد 2). (محمد رضوان الدّاية، المحقق) بيروت: مؤسسة الرّسالة.

[3] أحمد بن محمد المقري التّلمساني. (1988م). نفح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب (المجلد د.ط). (إحسان عباس، المحقق) بيروت، لبنان: دار صادر.

[4] السّيد أحمد الهاشمي. (2008). جواهر البلاغة (المجلد 4). (محمد التونجي، المحقق) بيروت، لبنان: مؤسسة المعارف.

[5] حمدي أحمد علي الجمال. (2018). تاريخ قبيلة الخزرج في الجاهلية وحتى نهاية عصر الخلفاء الراشدين. دار النّشر للجامعات.

[6] خيرالدين الزركلي. (2002). الأعلام (المجلد 15). بيروت، لبنان: دار العلم للملايين.

[7] دعاء محمد رجب الجميلي. (كانون الأول, 2024). "تصوير الطبيعة في شعر أبي العتاهية". مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية:مجلد19، العدد2، الجزء2: 1436.

[8] شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني. (1940). ازهار الرياض في أخبار عياض (المجلد د.ط). (مصطفى السقا، إبراهيم الابياري، وعبد الحفيظ شلبي، المحققون) القاهرة، مصر: مطبعة لجنة التّأليف والتّرجمة والنّشر.

[9] لسان الدين بن الخطيب. (1347هـ). اللمحة البدرية في الدولة النصرية (المجلد د.ط). القاهرة، مصر: المطبعة السلفية.

[10] لسان الدين بن الخطيب. (1974م). الإحاطة في أخبار غرناطة (المجلد 1). (محمد عبدالله عنان، المحقق) القاهرة، مصر: مكتبة الخانجي.

[11] مجمع اللغة العربية. (2008). المعجم الوسيط (المجلدات د.ط). القاهرة، مصر: مكتبة الشروق.

[12] محمد بن يوسف الصريحي. (1997). ديوان ابن زمرك الأندلسي (المجلد 1). (محمد توفيق النفير، المحقق) بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي.

[13] محمد خليل الخلايلة. (2004م). بنائية اللغة الشّعرية عند الهذليين (المجلد 1). منشورات عالم الكتب الحديثة.

[14] محمد حسين علي الصغير. (د.ت). أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم (المجلد د.ط). اصبهان، إيران: دار المؤرخ العربي.

[15] محمد نوح يونس. (2012)." الشّعر في اقليم غرناطة في القرن السّابع الهجري".كلية الآداب، جامعة بنغازي، ليبيا.

[16] مقدام خليل قاسم الخاتوني. (2021). "جماليات الصّورة السّمعية في شعر الشّاب الظّريف (ت688هـ) ". مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية: مجلد16،العدد1. 39.